الفينومينولوجيا القاصدة
إمكان الأنطولوجيا كفينومينولوجيا بين هوسرل وهايدغر

جان هيبوليت
فيلسوف وجودي فرنسي

ملخص إجمالي:

تحاول هذه المقالة تسطير رؤية تفسيريَّة لمعنى كلمة فينومينولوجيا في دلالات استعمالها كما ذهبت إليه مدوَّنات رائد الظاهراتيَّة إدموند هوسرل، وما اجتهد فيه فيلسوف "الكينونة والزمان" مارتن هايدغر. في سياقها سيبيّن الفيلسوف الفرنسي جان هيبوليت Jean HIPPOLIITE خطوط الِّلقاء والاختلاف بين الفيلسوفين رغم تقاطعها على أطروحة مشتركة، يمكن القول أنها تشكِّل حالة متقدِّمة في الدرس الفينومينولوجيِّ للحداثة وما بعد الحداثة. والمقصود بهذه الأطروحة المشتركة هي النظرية التي تقول: «لنقصد الأشياء ذاتها»، أو لنفهم ذات الأشياء إذا أردنا الوقوف على حقيقة الظواهر وماهيَّتها الذاتيَّة.

ربما تكون أهمية هذه المقالة رغم طابعها المحدود والإجمالي كامنة في تكثيفها للمباني الجوهرية لدى هوسرل وهايدغر. الأمر الذي سيُجلي الكثير من التمايزات في مقاربة هذا المفهوم عما ذهب إليه جمع من الفينومينولوجيين الكبار أمثال كانط وهيغل إلى عدد آخر من المتأخرين في فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأميركية.

نشير في هذه المجال إلى أن هذه المقالة تقع ضمن كتاب أصدره هيبوليت تحت عنوان (FIGURES DE LA PENSEE PHILOSOPHIQUE).

مفردات مفتاحيَّة: الفينومينولوجيا - الأنطولوجيا - الأشياء ذاتها - الانكشاف - الكينونة - هوسرل - هايدغر.

مقدِّمة :

كانت الصفحات القليلة التي ضمَّنها هايدغر كتابه «الكينونة والزمان» كافية لتفسِّر كلمة فينومينولوجيا، وكذلك للتعرُّف على فلسفته وتمييزها عن فلسفة هوسرل. ومن الواضح أنَّ الفيلسوفين يشتركان في الموضوعيَّة التي احتلَّت مكانة مركزيَّة في الفلسفة المعاصرة؛ وهي المكانة التي يمكن اختصارها بالعبارة التالية: لنقصد الأشياء ذاتها Zu den sachen Selbst. أمَّا الذي يختلفان حوله فهو تأويل هذا المبدأ الذي دفع بهوسرل إلى الأخذ بمثاليَّة ترنسندنتاليَّة، وإلى عقلانيَّة كاملة ظهر فيها مفهوم الكينونة كمفهوم معمِّم للمعنى، بينما يدلُّ هذا المبدأ عند هايدغر على إشكاليَّة مُحدِثة للكينونة. أي الكينونة بما هي ماهيَّة، وبما هي كينونة يُشار إليها. إذ إنها احتجاب، سواء بما هي حق أم بما هي لا. تلك هي الظواهر الأصليَّة والمخصوصة التي ينبغي علينا الكشف عنها، أو إعادة الكشف عنها، مفتتحين بذلك منظورًا، بتوجُّه "نحو الأشياء ذاتها"، من غير أن نحلَّ محلَّ ما ينكشف، أو نبني على ما هو مقابل لأنْ ينكشف.

لا تدلُّ الفينومينولوجيا على أنَّها علم مخصوص، وإنَّما تدلُّ على منهج للفهم. فأن تكون وصفيَّة هو تحصيل حاصل». في الفينومينولوجيا، يتعلق الأمر قبل كل شيء بوصف ما ينكشف، وما يظهر من تلقاء ذاته من حيث كونه يظهر»، كما يتعلَّق بمحو الأمر وما يحجبُ كلَّ ما هو قابل لأن يدعونا إلى الِّلقاء به. وعليه، ليست الظاهرة في دلالتها الجوهريَّة ما سبق أنَ فُهِمَت، أي بوصفها وضعانيَّة مضيَّقة. وكان هوسرل قد أكَّد على هذه النقطة، استطاع، كما فعل برغسون في فرنسا، أن يدَّعي عن حقٍّ أنَّه «الوضعانيُّ الحقيقيّ».

غير أنَّ هايدغر يمضي أبعد من ذلك في هذا التوسيع للظاهرة، فالكينونة لديه، وكذلك معناها، هما من الظواهر. والأسئلة التي تُطرح بصيغ مختلفة هي التالية: كيف نستدرك الأصل (الذي منه تتكوَّن الظاهرة ومعناها) ونتركه يُرى انطلاقًا من ذاته؟، وماذا يحصل لنا لو حُرِمنا رؤيته دائمًا؟، وبالتالي، كيف لنا أن نفقده، بل أن نفقده اضطرارًا؟، ومن نكون نحن الذين نقدر على أن نكشف الكينونة أو نفقدها؟ أمَّا التوضيح التدريجي لهذه الأسئلة فيبقى محطَّ التأمُّل الهايدغريِّ، ابتداءً من الكينونة والزمان، وصولاً إلى ماهيَّة الحقيقة ودراسته في الُّلوغوس.

***- جان هيبوليت (1907-1968) فيلسوف وجوديٌّ فرنسيٌّ كان يعتبر أنَّ المذاهب الرئيسيَّة في الفلسفة الغربيَّة استمراراً وتكملة لمذهب هيغل الفلسفيّ وقد ابتنى رؤيته الفلسفية على هذه الفرضية التي تنتمي في عمقها إلى فضاء ما بعد الحداثة المتعدد المذاهب والتيارات، ومن أبرز تلامذته ميشيل فوكو- جيل دولوز، لؤي ألتوسير وجاك ديريدا.**

***- المصدر: فصل من كتاب بعنوان:**

HYPPOLITE, Jean: Figures de la pensée philosophique, tome II, Paris, Quadrige/P.U.F, 1991.

***- تعريب: سامر أبو عز الدين.**

***- تقديم: إدارة التحرير.**